محاضرة: عوامل و مسببات التعاطي غير المشروع للمخدرات

الهدف العام للمحاضرة : الوقوف عند جملة من العوامل التي قد تؤدي إلى التعاطي غير المشروع للمخدرات .

تمهيد : بعد استعراضنا في المحاضرات السابقة لماهية المخدرات و أصنافها و خصائصها ، و كذا الوقوف عند اتجاهات المخدرات في العالم وفي الجزائر ، وبعد وقوفنا على مسلمة التأثير السلبي للتعاطي غير المشروع للمخدرات وما قد يتبع ذلك من تأثيرات على الجهاز العصبي المركزي وعلى عضوية المتعاطي.

نصل في محاضرة اليوم إلى محور مهم يشمل الوقوف عند جملة من العوامل و الأسباب المؤدية للتعاطي غير المشروع للمخدرات و احتمال الإدمان عليها ، فالاهتمام بقضايا هذا المجال يرتبط بمعرفة و تحليل العوامل و الأسباب المؤدية لظهور و انتشار هذه الظاهرة على المستوى الفردي و المجتمعي ، لكن الملاحظ في الدراسات و الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع ، هو تعدد الأسباب و العوامل المؤدية للتعاطي غير المشروع للمخدرات ، ناهيك عن اختلاف تلك الأسباب من شخص لآخر و من مجتمع لآخر ، فليس من اليسير تحديد عامل واحد أو مجموعة من العوامل بذاتها ، تفسر هذه الظاهرة تفسيرا شاملا .

لكن هذا الأمر ، لا ينفي إمكانية تبنينا للفرضية القائمة على أن **التعاطي غير المشروع للمخدرات هو محصلة لتضافر عدة عوامل متداخلة و متشابكة فيما بينها.**

من هذا المنطلق ، تعد معرفة هذه الأسباب وسيلة أساسية للتعامل مع هذه المشكلة الاجتماعية ، فأي معالجة حقيقية لها تستلزم التشخيص السليم و تحليل العوامل و المسببات لها ، وهو ما سنستعرض أمثلة عنها في العناصر التالية .

1) عوامل و مسببات التعاطي غير المشروع للمخدرات :

1-1) عوامل مرتبطة بالشخص المتعاطي (عوامل ذاتية) :

يعد العامل النفسي المرتبط بالشخص المتعاطي من أهم العوامل الدافعة نحو الانحراف و الإقدام على التعاطي ، فالعوامل الاجتماعية لا تؤثر بشكل مباشر ما لم تتأثر بها شخصية الفرد ، و هنا يبرز اختلاف شخصيات الأفراد و قدراتهم على تحمل مصاعب الحياة و مواجهة مختلف المشكلات التي تواجههم ، ونورد في مايلي جملة من العوامل الذاتية المشار إليها آنفا :

- مسألة الإيجابية أو السلبية التي تتسم بها الخطوات الأولى للمتعاطي عند إقدامه على تناول المخدرات ، فالمقصود بالإيجابية اعتراف المتعاطي بأنه هو نفسه كان يسعى و يتلمس الأسباب لاستكشاف تعاطي المخدرات رغبة في التقليد أو بدافع الاكتشاف .

و يقصد بالسلبية " شعور المتعاطي ببدأ تعاطي المخدرات تحت ضغط المحيطين به بالترغيب أو بالترهيب و التهديد.

- الاكتئاب و القلق ، فقدان الشعور بالثقة و انعكاس الأمر على الفشل في حل المشكلات ، **وعندئذ تنتاب الشخص حالة من عدم التوازن النفسي تجعله يبحث عن حلول بديلة تعيد لشخصيته هذا التوازن، بحيث يحقق ما لم يستطع أن يحققه في الواقع،في هذه الحالة قد يلجأ لتعاطي المخدر كي يقطع صلته بالواقع الذي لم يتح له تحقيق ما يطمح إليه.**

– حب الاستطلاع لا سيما لدى الشباب، و الرغبة الملحة في استكشاف و تجريب تعاطي المخدرات.

– عدم القدرة على مواجهة بعض الأحداث الحياتية كفقدان الوالدين أو الفشل في الدراسة ، العمل ، عوامل قد تدفع الشخص إلى اللجوء إلى التعاطي غير المشروع هروبا من عدم القدرة على التعامل مع تلك الأحداث.

- انخفاض المستوى العلمي و الثقافي للشخص قد يحجب عنه الوعي بالأضرار التي قد يحدثها التعاطي غير المشروع للمخدرات على صحته العضوية و العقلية .

1-2) عوامل متعلقة بالمادة المخدرة المتعاطاة :

قبل التفصيل في هذا العنصر ، يمكننا النظر إلى المخدرات باعتبارها سلعة تتأثر أسواقها بعوامل – من قبيل إنتاجها (زراعة ، تصنيع) ، طريقة نقلها من أماكن الإنتاج إلى سوق ترويجها ، حجم الطلب و كيفية الحصول عليها ، ثمن بيعها – قد يكون له تأثير على قيام الشخص بفعل تعاطيها بطريقة غير

مشروعة وبالتالي **تشكيل ظاهرة التعاطي** ، و سنعرض بعضا من جوانب هذا التأثير المرتبط بالمادة المخدرة .

أ) **عامل التوافر:** ونقصد به مدى توفر المخدرات غير المشروعة في المجتمع وهذا الأمر وثيق الصلة بجانب العرض (أي الكميات المروجة) وقد يكون عاملا مساعدا على تعاطيها ، ونخص بالذكر هنا المخدرات ذات الأصل الطبيعي كراتينج القنب في الجزائر الذي يأتي على رأس قائمة المواد الأكثر تعاطيا و الأكثر ضبطا – وقد فصلنا في هذا الأمر في محاضرة اتجاهات المخدرات في الجزائر-*.

أما عن المواد النفسية المشروعة مثل بعض الأدوية النفسية فتتأثر درجة توافرها في المجتمع بالأسلوب الذي يتبعه الأطباء في كتابة وصفاتهم لمرضاهم ، فالتساهل الشديد باستعمال هذه المواد يتيح مزيدا من الفرص لتسربها غير المأذون ومن ثم إلى وفرتها في السوق غير المشروعة.

كما أن تعاطي أحد أفراد الأسرة لهذه المواد بطريقة مشروعة لأسباب طبية مع عدم حفظها في أماكن آمنة بعيدة عن متناول باقي الأفراد ، قد يسهل الحصول عليها و تجريبها وبالتالي احتمال تعاطيها باستمرار.

ب) طبيعة المادة المخدرة : ثبت علميا أن كل مخدر له خصائصه الكيميائية و التأثيرية على الإنسان ، فالشخص بعد أن يستخدم أنواعا منها سرعان ما يفضل صنفا معينا و يدمن عليه ، لوجود نوع من التوافق بين المخدر و تأثيراته من جهة و شخصية المتعاطي أو المدمن من جهة أخرى .

ج) **ثمن المادة المخدرة** : يتباين ثمن المواد المخدرة بين ما يمكن الحصول عليه بثمن في المتناول في حين يتواجد بعضا من الأنواع الباهظة الثمن – مع الإشارة إلى أن هذا الأمر يختلف من مجتمع لآخر و تدخل في تحديده عنصر العرض و الطلب – وهذا من العوامل التي تدفع بالمتعاطين إلى اختيار النوع الذي يتوافق و مستواهم الاقتصادي.

* انظر: https://onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_ar/donnees_statistiques/bilan[2019].pdf

د) طريقة التعاطي : أشرنا في المحاضرات السابقة إلى تعدد طرق التعاطي غير الطبي للمخدرات و يعد التدخين ، البلع و الشم أكثر تلك الطرق انتشارا لسهولة القيام بالأمر مقارنة بالتعاطي عن طريق الحقن وبالتالي قد تؤثر سهولة طريقة التعاطي في استمرار القيام بهذا الأمر .

1-3) عوامل مجتمعية :

ونقصد بها مجموع عوامل البيئة المجتمعية بمعناها الواسع الذي يشمل البيئة التي يعيش فيها الشخص (الأسرة ، المجتمع المحلي) لتمتد وتشمل المجتمع العام (البلد الذي يعيش فيه) و العالم ككل لاسيما في العصر الحديث و خصائصه كانتشار العولمة وما تبعها من تغير اجتماعي سريع، إذ صار بالإمكان لحدث يقع في الشرق أن تمتد تأثيراته إلى حياة شخص ما يقيم في بلد يقع في أقصى الغرب.

فالتحولات الجذرية التي عرفتها معظم المجتمعات الإنسانية – والمجتمع الجزائري من بينها- أفرزت واقعا مجتمعيا جديدا من مظاهره عدم الاستقرار بين الفئات الهشة وفقدانها الثقة وزرع فيها التخوف من المستقبل ، وهي من العوامل الدافعة نحو التعاطي ، نود التذكير كذلك أن حضر هذه العوامل جميعها صعب للغاية ، لجملة من الأسباب نذكر من بينها التنوع الكبير في خصائص تلك المجتمعات ، و في شتى المجالات الثقافية ، الاقتصادية ، السياسية...، لكننا سنقف عند جملة من أهم العوامل المجتمعية التي قد تدفع نحو التعاطي غير المشروع للمخدرات ، ومن أهمها :

- التفكك الأسري نتيجة عدم استقرار العلاقات الأسرية ، غياب الوالدين عن البيت بسبب الالتزامات المهنية . و ارتفاع نسب الطلاق .

- التربية الوالدية غير المجدية كعدم مراقبة الأبناء ، استعمال أساليب التدليل المفرط أو القسوة الشديدة في التعامل مع الأبناء ، فقد **تلعب المشكلات الأسرية دوراً بالغَ الأهمية في إعاقة دور الأسرة في تربية أبنائها وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية السليمة، مما قد يؤدي في نهاية الأمر إلى انجرافهم . ومن تلك المشكلات ما ينشب بين الأبوين من شجار، أو اختلافهما في أسلوب التربية مما يجعل الأبناء في حيرة من أمرهم ، إلى من يميلون ومَنْ يصدقون ؟ . كما أن أسلوب التنشئة الذي لا يعرف إلا القسوة في التعامل مع الأبناء دون الاستبصار بعواقب هذه القسوة ، يقود الأبناء إلى النفور من آبائهم وأمهاتهم وأسرهم ، وقد يجعلهم ينتقمون من ذلك بالوقوع في الخطأ . وعلى النقيض من ذلك انتهاج أسلوب الدلال الزائد والإهمال بحجج واهية ، مما قد يجعل الأبناء عرضة للوقوع في شراك المخدرات.**

– دور جماعة الرفاق ، حيث يعتبرهم الشاب الأسرة البديلة عن أسرته ، ومثله الأعلى، فآراؤهم وأفكارهم محط اهتمامه ، ويعتبرهم ملاذه في الأزمات، وفي مواقف الضعف التي يتعرض لها خاصة عندما يرى أن الأسرة مصدر هذه الأزمات. وهنا مكمن الخطورة عندما تكون هذه الرفقة من سيئي السلوك ، مما قد يقود إلى المخدرات.

– وجود إغراءات من مروجي المخدرات كإتباعهم أسلوب إعطائها مجانا للشخص في بداية الأمر إلى غاية تعوده عليها و بالتالي استغلاله بعد ذلك .

– الأوضاع الاقتصادية السيئة وما قد ينجم عنها من ظواهر كالبطالة التي تؤثر في قدرة الشخص على إعالة أسرته و بالتالي قد يلجأ للتعاطي هربا من هذا العجز .

– وسائل الإعلام و شبكات التواصل الاجتماعي وما تبثه من أعمال ، تسهل حتى عملية إنتاج المخدرات و كيفية تعاطيها ناهيك عن استعمالها في الترويج و التوزيع ، و**قد تؤدي أحياناً من خلال ما تقدم أو تعرض من أفلامٍ أو مسلسلاتٍ إلى الانخراط في دائرة الإدمان، وخاصةً تلك الأفلام التي يركز مضمونها على تعاطي المخدرات أو على الاتجار فيها أكثر من التركيز على إبراز الجوانب السلبية التي غالباً ما يقوم بها شخصيةً أو شخصياتٍ لها جماهيرية لدى المشاهد، فضلاً عن نوعية الأفلام والمسلسلات التي تسرف في إظهار حياة الرفاهية والبذخ على حساب القيم والأخلاق ممّا يخلق تناقضاً بين تطلعات الشباب وعدم توافر الوسائل اللازمة التي تمكنهم من تحقيق هذه التطلعات، بما يؤدي إلى تمرد الشباب وميلهم إلى العدوانية والعنف وأخيراً الإدمان.**

– ارتفاع مستويات التسرب المدرسي ما يدفع بأعداد كبيرة نحو الشارع الأمر الذي قد يجعلهم عرضة لخطر تعاطي المخدرات.

– عدم استثمار الفراغ بشكلٍ مجدٍ وفعال يصبحُ مفسدةً من قبل الأفراد خاصةً إذا تلازم وقت الفراغ مع عدم توفرِ الأماكن الصالحةِ التي تمتصُ طاقة الشباب كالنوادي والمتنزهات، فعندها ينبغي تعليم هؤلاء الأفراد البدائل المختلفة للاستمتاع بوقتِ فراغهم دون اللجوء إلى المخدرات، مثل: الرياضة، الهوايات المختلفة، بما يعود بالنفع عليهم وعلى مجتمعهم، فالنمو والتقدم يعتمدُ على المستوى الفكري الذي يعيش فيه الأفراد.

– تطور أساليب إنتاج المخدرات على المستوى الدولي وكذلك طرق ترويجها ما يسهل عملية إيصالها للمستهلكين.

- الموقع الجغرافي للبلد ومدى قربه من مناطق الإنتاج و طرق للتهريب.

شكل توضيحي : العوامل المسببة للتعاطي غير المشروع للمخدرات